عابد خزندار في أولى مكاشفاته (١-٤)

تفكيري أقرب إلى مدرسة روز اليوسف اليسارية وليس لي أي موقف عدائي من الدين

- مكة - حرسها الله - كانت تعيش خارج التأريخ منذ عهد عمر بن أبي ربيعة وإلى عصر النهضة الحديث.
- السياسة الأمريكية الحالية لا تختلف أبداً عن سياسة أدولف هتلر.
- نعم، الأسرة المكية المترفة كانت أقرب إلى تفكير عصر النهضة المصري المعروف بليبراليته.
- ماركس كان سبباً في نجاح النظام الرأسمالي عن طريق النقد الذي قدمه لليبرالية.
- الغذامي والسريحي يعود انتشارهما عربياً إلى علاقات شخصية صرفة.
- لم يحاول سلامة موسى أن يجادلني في معتقداتي أو يقنعني بالإلحاد.

بين يدي مكاشفات:

ثمة أسئلة عالقة تثار بأحايين متباعدة بين بعض المهتمين من جيلي تتعلق بجيل الرواد، وتلكم المكونات الاجتماعية والثقافية التي تبلور عبرها ذياك الجيل..

وبالرغم من طرحي الموضوع عبر (مكاشفات) سابقة، إلا أن الإجابات والتعليقات حينها لم تكن بالتي ترقى إلى مستوى أن تقنع السائل أو تبرد غليل السؤالات.

بيد أن ضيف مكاشفات لهذا العدد كان الأقدر - برأيي الخاص - على إتحافنا

نشر اللقاء يوم الجمعة ٧ ذو القعدة ١٤٢٣هـ بصحيفة المدينة ملحق الرسالة.

obeikandl.com

برؤية موضوعية وصريحة حيال تلكم النقاط المثارة، كونه من جهة قريباً من ذلك الجيل وأدركه، وثانياً كان اسمه كفيلاً ببعث المصداقية والاطمئنان بسبب أن ما سيقوله لن تعوزه الجرأة والصراحة أبداً، واللتان تصلان لأقصى أبعادهما عندما يدلي بشهادته، فضلاً عن تخصصه الأدبي الذي يخوله أن يفتي في تلكم النقاط..

تسنى لي أول لقاء به قبل أشهر معدودات في ثلوثية أبي الشيماء، وقد قرأت له إبان كتاباته النقدية وتبشيره لنا بمرحلة " ما بعد الحداثة " في الزميلة "الرياض". وقفت أرمقه في المجلس وهو منصت إلى صديقه و غريمه د. منصور الحازمي الذي جلس بجانبه يتحدث كضيف للثلوثية تلك الليلة. ألفيتني أرمق سبعينياً بدت آثار السنين على قسمات وجهه، ويشدك إليه ذلك الهدوء المتمدد باسترخاء على شخصيته. غير أن ما أدهشني فيه حقاً هي تلك الروح الشابة التي لا يخطئها أي متفحص ومتابع، والتي تتجلى في مداخلاته الشفاهية القليلة أو كتاباته الاجتماعية العريضة غير المتملقة أو المنافقة، والتي جعلتني في أيام كتابته بالزميلة "الوطن" أبحث عن هاتفه كيما أقدم له شكري على غيرته النادرة بما لم أفعله مع أي كاتب آخر خلا عبد الله الفوزان..

ولأن من عادة الناقد الأدبي الشهير والكاتب الاجتماعي عابد خزندار ضيف مكاشفاتنا اليوم، عدم السهر والنوم المبكر، فوجئت به مستأذناً فانفلت إليه لأدركه عند باب الفيلا الذي أخذ بي على حين غرة مقتحماً عليه ومبادراً بسؤاله بأن يكون ضيفاً لمكاشفات، ورحّب - كرماً منه - من وهلته، معطياً إشارة نفسية مهمة إلى عدم وجله - بما لم يفعل كثيرون غيره - من المواجهة، وترك لي موعد اللقاء ..

وإذ بدأت القراءة المعمقة لمجمل كتبه ونثاره وجدت نفسي مختلفاً مع كثير من رؤاه الفكرية وبعض قليل من آرائه المجتمعية، زاعماً أنني ناقشته باستفاضة يجدها

القارئ الكريم بين ثنايا المكاشفات. بيد أن ذلك لا يمنعني أبداً أن أسجل اعترافاً شخصياً بمكانته ككاتب اجتماعي من الطراز الرفيع، يكتب لا ليجامل أو يسبغ الثناءات المجانية على المسؤولين لينال حظوة أو هبة، أو هجوماً على مسؤولين صغار لتمرير مصالح شخصية، بما يفعله للأسف ثلة من كتابنا الذين لم يسلموا من العلل الآنفة. ولا بد لي من الاعتراف مرة أخرى، كرأي شخصي لا ألزم به أحداً، أن الخزندار أحد القلائل من مثقفينا السعوديين الذين لمست منه تمسكاً بمبادئه، ولم تغيره السنون، فضلاً على أنه لم يرتزق بثقافته أو يرتهنها في ما أعلمه، والله تعالى أعلم ما في الأنفس وما تخفي الصدور..

وأنا أدرك أن ما سطرته هنا سيغضب بعض أصدقائي وأساتذتي وسيلومني بعض أحبتي، ولكنها الحقيقة التي خرجت بها من قراءة مستفيضة لنتاج الرجل ومواقفه التي يبثها في مقالاته الصحافية التي يكتبها بوطنية حقيقية تروم الدفاع عن مصلحة الطبقات الفقيرة والضعفاء والموضوعات التي تصل إلى خطوط حمراء، جبن كثيرون منا في التعرض لها، ودفع هو أكلافاً كثيرة وتعرض للإيقاف..

والقرآن الكريم علمنا ألا نبخس الناس أشياءهم، وأن نعدل بحيث لا يجرمنا شنآن قوم على ذلك .

نترككم مع ضيف (مكاشفات) في أولى حلقاتها، آملين من أحبتنا القراء إكرامنا بمداخلاتهم، ومنوهين لضرورة الالتفات إلى اختصار المداخلات كي يتسنى نشرها بالكامل..

عبد العزيز قاسم

❀ في البداية دعنا نشكر لك استجابتك الكريمة بأن تكون ضيفاً على (المكاشفات)، ومباشرة نسألك عن حال الطفولة .. هل كانت طرفاً أم عاصمة في عمر عابد خزندار وما علق في ذاكرتك منها ؟

- أنا مولود في مكة المكرمة.. لكن طفولتي توزعت بين مكة والطائف. ولقد ولدت أيام الحرب العالمية الثانية، ولعل هذا أبرز محطات ذلك الماضي. وتيسر لي أن ألتحق بالكتّاب، وقد درست في البداية في كتّاب للبنات كانت تديره سيدة من عائلة الهزازي، وكنا نكتب دروسنا على اللوح نسبة لندرة الورق في تلك الأيام .. وهذا ما كان يتطلب منا حفظ الدروس أولاً بأول لنمحوها عن صدر اللوح لكي نكتب عليه مجدداً الدروس اللاحقة. وأذكر أهم الأحداث السعيدة التي مررت بها آنذاك وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، بدؤوا في توزيع الأوراق علينا لندوّن فيها دروسنا. كان ذلك في العام ١٩٤٤م للميلاد. الحدث الثاني الذي غمرني بالسعادة تمثل في دخول (الراديو) حياتنا، فتسنى لنا معرفة أحداث العالم من حولنا. كنت في التاسعة من عمري تقريباً. وكنت متعاطفاً مع الألمان وتمنيت انتصارهم؛ ربما لأنهم لم يكونوا دولة استعمارية كالبريطانيين مثلاً..

❀ يبدو لي أن جيلكم كله كان يتعاطف معهم.. قصدت الألمان.

- هذا صحيح إلى حد ما؛ فالكثيرون منهم كان يتعاطف معهم.. وهناك مسألة تبدو لي مهمة أيضاً، وهي أنني عندما ذهبت إلى القاهرة وجدت أن أغلب المصريين إن لم يكونوا كلهم، متعاطفين مع الألمان. وربما يعود أمر هذا التعاطف الغالب إلى فكرتنا حول إمكانية إخراج الاستعمار البريطاني من العالم العربي بأصابع الانتصار الألماني في الحرب، وإنهم سيكملون دحر اليهود فتحرر فلسطين منهم.

كل ذلك ظل حبيساً للتمنيات. ولكني الآن أنظر إلى تلك الفترة وقد تغير رأيي تماماً. إذ لو انتصر الألمان آنذاك لتبدل كل هذا الواقع الذي يتخبط فيه الكون بأسره الآن. ولعلك تلاحظ معي أن السياسة الأمريكية لا تختلف البتة عن سياسة أدولف هتلر، وتدور فكرتها في ذات المنوال الذي دارت حوله الفكرة النازية، كالمنهجية العنصرية والتعدي على حريات الشعوب مع محاولة فرض (النموذج) الذي نراه اليوم مسنوداً بالعصا الأمريكية.

❀ **قبل أن نبرح مرحلة الطفولة والتنشئة الاجتماعية، هل أطمع ببعض الحديث عن وضع أسرتكم المادي في تلك الفترة . ولا يخفى أثر ذلك في الاتجاهات الفكرية التي ستعتنق ؟**

- الأوضاع المادية كانت نسبية للكل في تلك الفترة. وبالنسبة لي ولعائلتي فقد كان الوضع لا بأس به، فوالدي كان موظفاً بالدولة؛ ولأن الحرب كانت تلقي بظلالها على العالم بأسره انعكس ذلك على مدخولنا أيضاً؛ لأن الحكومة كانت تتأخر أحياناً في صرف الرواتب لموظفيها لمدد تصل أحياناً إلى خمسة أشهر متصلة، لكن ظروفنا كانت ميسورة على أي حال.

❀ **وكيف كانت علاقاتكم الأسرية بجيرانكم في مكة المكرمة؟ قصدت هل ثمة تواصل معهم أم كنتم في شيء من الانعزالية ؟**

- كانت جيدة، لكن القوي منها كان محدوداً كعلاقاتنا بعائلات السجيني.

❀ **أي المدينتين، مكة أم الطائف، التي احتضنت مرحلتكم الدراسية الابتدائية؟**

- لقد درست في الفلاح في مكة المكرمة إلى الخامسة الابتدائية. وكان يديرها الأستاذ أبو بكر حبشي وهو عم لمحمد علي حبشي .. ومن المعلمين الذين تعلمت عليهم في تلك الفترة السيد علوي مالكي والسيد أمين كتبي والشيخ عبد الماجد

والشيخ السناري وعيسى رواس.. وانتقلت بعد ذلك من الفلاح إلى الرحمانية التي تخرجت منها، وللتذكير لم يكن آنذاك ثمة من إعدادي ومتوسط، كان يسمى ذلك بالثانوي الذي كانت فترة الدراسة فيه ست سنوات. ولقد تخرجت في العام ٧٢ هـ تقريباً.

❁ **وبعد الرحمانية؟**

- بعدها درست في مدرسة تسمى تحضير البعثات في مكة، وهي تعتبر المدرسة الثانوية الوحيدة في المملكة ككل آنذاك .. وأذكر من زملائي وقتها محمد علاقي وعباس غزاوي وجميل ششة وعدنان مدني ويوسف منصوري.

وعلى أي حال كنا اثني عشر طالباً هم كل المتخرجين في تلك السنة وعلى مستوى كل المملكة.

❁ **ومَنْ مِن المعلمين كان له تأثير على الفتى عابد خزندار في تلك الفترة المهمة من تاريخ تكوين شخصيتك المعرفية والإنسانية؟**

- تأثرت بالأستاذ عبدالله عبدالجبار في تلك الفترة. لكنه لم يعمّر كثيراً .. وكان يشرف على النشاط الأدبي في المدرسة، وسافر إلى مصر. وكان أغلب الأساتذة من المصريين. لكن من السعوديين الذين أثروا فيَّ أيضا الأستاذ سراج خراز والأستاذ إبراهيم فطاني و أظنه صار قاضياً بعد ذلك، وهذان كانا من الشعراء.

انطوائية وخجل

❁ **بودي هنا أن أسألك إن كنت توافق على ما يصفك به لداتك آنذاك من أن الفتى عابد خزندار كان خجولاً ومسوّراً بالانطوائية في تلك المرحلة من عمره؟**

- هذا صحيح. لكن السبب يكمن في كوني أصغر الطلاب سناً في الفصل؛ مما

جعلني أحترس منهم، لكن في المقابل أفادني ذلك وكان سبباً في تكريس جلّ وقتي للدرس والقراءة منعزلاً في المدرسة أو في البيت.

❁ **وهل كان لذلك تأثير على اللاحق من حياتك كأن تكون الانطوائية انسحبت، بدافع من اللاوعي، على مجمل تكوينك النفسي في ما بعد؟ أن تصبح سريع الغضب مثلاً. وردودك تلك في سجالاتك التي تنز غضبا فوّاراً؟**

- (ضاحكاً) .. ولكن ما الذي يستدعيك لتقول ذلك؟ لا يا أخي الكريم، وعلى العكس تماماً.. فأنا في العادة لا أرد على من يهاجمني، خاصة إذا كان هجومه تجريحياً، ولعلك لاحظت أنني لم أرد على هجوم أيمن حبيب بالرغم من أنه لم يحترم أخلاق المهنة، إذ لا يجوز لصحفي أن يهاجم زميلاً له في الصحيفة نفسها، ثم إنه خان أمانته الصحفية قبل ذلك، إذ نشر مقال الجفري عن الكتّاب الفيشاريين دون أن ينشر تاريخه، وبذلك أوهمني أنني أنا المقصود، بالهجوم، وأوقع بيني وبين الجفري، وعلى أي حال أنا أشكره لأنه كشف عن حقيقة مشاعره نحوي بعد أن كان يتظاهر بصداقتي، كذلك لم أرد على الجفري حين هاجمني خاصة، وأن المعركة كانت بيني وبين زكي يماني وليست بيني وبين أذنابه.

❁ **سيستفيض بنا الحديث لاحقاً حول تلك المعركة أستاذ عابد، وأستأذنك في أن نبقى في مرحلة التكوين والصبا. الأستاذ فؤاد عنقاوي قال عنك مرة في اثنينية الخوجة بأنك كنت غريب الأطوار في طفولتك. ترى ماذا كان يقصد الأستاذ عنقاوي؟ أم هي فقط، مناكفة أخوية. ومهاذرة اللدات؟**

- ربما قال ذلك استناداً إلى ما لاحظه في طفولتي من تفضيلي للانزواء بنفسي واستغراقي في الشرود. وأنت تعلم أن من يقرأ بنهم كثيراً ما يسرح بخياله ويغيب عن دنيا الناس..

القراءات والكتب

❁ **يقودني هذا إلى سؤالك عن نوعية تلك الكتب التي كانت تتلبّسك بحالتها في تلك الفترة وتجعلك غائباً عن دنيا الناس؟**

- كنت أقرأ كتب طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم..

❁ **كان ذلك في الثانوية؟**

- لا بل في أواخر الابتدائية .

❁ **عفواً منك أستاذ عابد، هل كنت مستعداً ذهنياً لاستيعاب تلك المتون والقراءات لأساطين الفكر العربي في تلك السن الصغيرة ؟**

- ليس بشكل كاف لكنني كنت حريصاً على فهمها وكنت أستعين بوالدي وبعمي حسين على فهمها. ومن القراءات المهمة بالنسبة لي ما كانت توفره مكتبة والدي من مجلة الرسالة، وهي أعداد قديمة أحتفظ بها منذ ما قبل الحرب، وقد أفادني وجودها كثيراً، وهي كانت تحفل بكتابات كثير من الإعلام آنذاك كطه حسين والعقاد وزكي مبارك والرافعي وأحمد أمين وغيرهم.

❁ **بودي التوقف معك هنا. في هذه النقطة تحديداً أستاذ عابد. ألا تجد شيئاً من الغرابة في توافر كتابات أولئك المفكرين والكتّاب في تلك الفترة في المجتمع المكي؟ وللمناسبة كان عبدالله أبوالسمح قد ذكر في إحدى مقالاته أن مكتبة والده - الذي هو إمام الحرم - كانت تزخر بكتب سلامة موسى ولطفي السيد وغيرهما وكان يقرأ عليها. ولا يخفى عليك سبب تعجبي من أن كثيراً من الأسماء كان على نتاجها ملاحظات شرعية، بل البعض كان ضد الدين تماماً. إلام تعزو أسباب توافر كتب أولئك في تلك الفترة؟**

- كانت في مكة مكتبة راقية هي مكتبة عباس حلواني. وكان صاحبها حلواني

كثير السفر إلى القاهرة لاجتلاب الكثير من الكتب. وفي الغالب تكون هذه الكتب كتباً نادرة، مثل: كتاب الأغنياء والفقراء لويلز الذي ترجمه راشد البراوي، وكتاب (رأس المال) لماركس الذي ترجمه راشد البراوى أيضاً.. وبعد الحرب أسس عبدالحميد الصحاف مكتبة الثقافة ومعه عبدالرزاق بليلة وصالح جمال، وأحمد ملائكة الذي كان مقيماً في مصر؛ ولذلك كان يرسل لهم المجلات والكتب منها، وقبل هذا كله كنت أتردد كثيراً على مكتبة الحرم التي اكتشفت بها (كتاب الأغاني) فبدأت في قراءته، إلى جانب عدد من الكتب المصرية الشارحة.

تجارة أم أدلجة

❀ **هل كان الدافع لاجتلاب الكتب من القاهرة تجارياً صرفاً بالنسبة لعباس حلواني أم أن الرجل له اتجاه للفكر التثقيفي فأحبّ أن يثقف جيلكم بتلك الكتب؟**

- نعم، لم يكن يحركه الهدف التجاري فحسب، بل كان لمحبة المعرفة وتوزيعها على الجيل الصاعد دور محوري وقتها في مسلكية الرجل.

❀ **ما الداعي هنا أستاذ عابد - واسمح لي - أن يُقْبِل البيت المكي أو المثقف الحجازي بشكل أكثر تحديداً على كتب مضادة بالكامل لثقافته، وأين بجوار بيت الله الحرام، لتوك تفضلت علينا بأسماء بعضها، رأس المال لكارل ماركس وكتب سلامة موسى المسيحي؟**

- إن واجب المثقف أو على الأصح شداة الثقافة أن يطلعوا على كل الأفكار والفلسفات، وبعد ذلك يصلون إلى رأيهم الخاص بهم.

❀ **بصراحة أستاذ عابد بودي الوقوف هنا حول هذه القراءات، أنت وأبو السمح وجيلكم، ألم تتأثروا بهذه القراءات . ألم تترك بصمتها القوية على ثقافة**

وتوجه شباب يافعين.. وحتى في مراحل تالية من حياتكم. قصدت توجهاتكم الفكرية والسياسية ؟

- كما قلت قد يتأثر الإنسان في البداية وبعد ذلك يصل إلى رأيه الخاص .

❁ **إذن أستطيع الزعم بأن ثقافتك في بواكيرها اتخذت المنحى المصري. لكن في المقابل ألم يكن ثمة من تأثيرات لكتّاب شاميين في بداياتك المعرفية؟**

- مردُّ ذلك في الحقيقة إلى كثرة المعلمين المصريين في المدرسة. وأذكر أن معلماً شامياً واحداً كان بينهم وكان يدرّسنا الفرنساوية.

❁ **قبل أن نودع تلك المرحلة، بودي سؤالك عن تلك الذكريات التي علقت بذاكرتك من بقايا لتلك المرحلة التي تراها أسهمت في تكوينك الثقافي والإنساني في الفترات اللاحقة؟**

- من ذلك، مثلاً، أنني كنت أذهب برفقة زملائي إلى المقاهي عصراً، وأذكر منهم صديقي جميل ششة - رحمه الله - حيث كنا - هو وأنا - نقصد المقهى لنجلس داخلها أو خارجها وبيننا أحد الكتب. وأذكر أن رواية (زقاق المدق) لمحفوظ كانت ظهرت في تلك الأيام فنتناوب على قراءتها صفحة صفحة حتى النهاية.

❁ **هذا يحيلني إلى ما سبق، وذكر نتفاً منه حمد الجاسر عندما نشر علاقته ومجايليه بالكتاب وكيف أن المقهى لعب دوراً فيها. والسؤال الذي يبزغ هنا: هل كان ذلك الأمر مستحبا على علاقة كل فتيان مكة وشبابها بالكتاب والمقهى. أم أنه يتعلق بفئة معينة منهم ومحدودة ؟**

- بل كانت فئة محددة تلك التي نسجت علاقة معرفية بالمقهى كمحرك في دنيا الثقافة، أما الباقون فكانت علاقتهم بالمقهى تتوقف عند دوره التقليدي المتمثل في شرب الشاي والقهوة وربما النميمة (مبتسماً).

جغرافيا المكان والقدسية

❁ **ما زلت عند دهشتي وأنت تعلم أن الريادة باعثة وليست مستوردة. وعليها، ربما كان يتوقع الكثيرون من جيلي أن تكون قراءات (أهل مكة) منطلقة من الجغرافيا التي يعيشون، قصدت القراءات التي تستقي شيئاً من قدسية المكان. لكن الملاحظ أنكم لم تفعلوا ذلك. ما السبب في رأيك أستاذ عابد؟**

- كانت مكة المكرمة قبل عصر النهضة تعيش في عزلة عن كل العالم، ولم تكن هناك كتب محلية تواكب العصر، وبعد ثورة الشريف حسين وفد إليها نفر كثير من دول أخرى مثل: فؤاد باشا الخطيب، وخير الدين الزركلي، وهم شعراء أثروا بشكل أو بآخر في الحراك الفكري الحجازي. وكان لتأسيس مدرسة الفلاح بالغ الأثر في تقريبنا من الثقافة الخارجية. أستطيع أن أقول يا أخ عبدالعزيز أننا كنا متأخرين عن العالم. منذ زمن عمر بن أبي ربيعة وإلى حدود عصر النهضة كنا ندور في فلك خارج عن كل الكون.

❁ **أستغرب جداً هذا الجزم منك عن المجتمع المكي الذي هو - بحكم مؤتمر الحج - ملتقى حضارات يرفدها الحجيج القادم من كل مكان بثقافاتهم وبشكل سنوي يضخون من حضاراتهم .. هلا فسرت لي الأمر؟**

- كان يمكن لذلك أن يكون كما تقول، لولا انتقال الخلافة من المدينة إلى الشام. كما أن الجيل الأول من عصر الإسلام كان ثرياً ومرفهاً فلم يكلف نفسه عناء العمل في التجارة أو الصناعة، تماماً كما هي حال الطفرة وانعكاساتها علينا وعلى مجتمعنا السعودي. والأجيال التي جاءت بعد ذلك من الشعراء والأدباء والعلماء المولودين في مكة كانوا يسافرون منها إلى بغداد أو مصر. فأصبحت مكة فقيرة، والأمر ينطبق على سوريا أيضاً عندما انتقلت منها الخلافة إلى

بغداد، إذ لم يصبح لسوريا من دور تلعبه فيما نهضت بغداد فكرياً وثقافياً.. وحتى الشعراء رحلوا مع رحيل الخلافة إلى بغداد، كأبي تمام مثلا وهو من حوران، رحل إلى العراق ولم يذكر من شعراء سوريا وقتها إلا ديك الجن.

عصر النهضة الليبرالي

❁ **سأستثمر أنني إزاء أحد ذلك الجيل الذي مازالت ثمة سؤالات عالقة في ذهني حوله. وأسألك أستاذ عابد: المتتبع لهذه الفترة التي ذكرتها عن تاريخ الحجاز يلاحظ أن الأسرة المكية - المترفة بالخصوص - كانت أقرب إلى تفكير عصر النهضة ولكن على الطريقة المصرية المعروفة بليبراليتها. وهم يعيشونها - أي تلك الأسرة المكية - اجتماعياً وفكرياً وسياسياً. كيف تفسر هذه الحالة المتشبثة بالتقليد؟**

- أوافقك، وهذا صحيح وإلى حد كبير، لكننا تأثرنا أيضاً بشعراء المهجر اللبنانيين.

❁ **هل أطمع بتفسير صريح منك بذلك، مع العلم أن بعض تلك الأسر الحجازية كانت تقوم بإرسال أبنائها ومنذ الصغر لكي ينشأوا في مصر إلى الدرجة التي وصلت بهم إلى إلحاقهم بمدارس الإرساليات المسيحية كمدرسة فيكتوريا مثلاً التي درس فيها أحد وزراء البترول السابقين لدينا؟**

- ربما لأن التعليم في مصر كان هو الأفضل، وبالمناسبة نحن تأثرنا بمصر أكثر من أي بلد آخر، وكانت الحرية الفكرية والصحفية منتشرة في مصر أكثر من انتشارها في سوريا ولبنان آنذاك، والدليل أن هجرة اللبنانيين أنفسهم كانت إلى مصر. كانت مصر مركز جذب لكل المثقفين من كل الأقطار العربية. وكانت سوريا ولبنان وقتها تحت الحكم العثماني الذي لطالما حارب اللغة العربية وسعى للقضاء عليها.

❀ **هنا بودي أن أسألك بشكل مباشر: لماذا لم يجد المجتمع الحجازي آنذاك في أن يدرس أبناؤه في تلك الفترة من أعمارهم في مدارس مسيحية مصرية؟ وهي الأسرة المسلمة المكية ؟**

- لأن هذه المدارس وخاصة كلية فكتوريا كانت أحسن من المدارس المصرية.

❀ **قرأت لك مرة في إحدى نثارك إعجاباً صغته في شخص مدحت باشا. حدثنا عن شخصية الرجل وسبب إعجابك به؟**

- مدحت باشا هو أبو الدستور التركي، لا بل هو أول من وضع دستوراً لعموم منطقة الشرق. وكنت صغيراً عندما سجن في قصر شبرا بالطائف.

الطائف والوشائج

❀ **على ذكر الطائف، وهي المدينة التي تربطك بها أيضاً الوشائج، هل أطمع منك أستاذ عابد بنتف من ذكرياتك فيها. وحديث عن أبرز علامات الحركة الثقافية هناك؟**

- لقد عشت في الطائف - كما تعلم - وما يزال لنا فيها بيت في قروة القريبة من باب الريع، وفي الطائف كان بعضهم يسهر في (مقهى الغربي) وهي مشهورة، وبعضهم يسهر في مجالس الطرب والسمر على ضفاف وادي وج. وبالنسبة لنا في ذلك الوقت وبحكم صغر سني لم يكن ليسمح لنا بالسهر إلى وقت متأخر، لكن يوم الجمعة عادة كان يحمل اختلافه، فقد كان الجماعة في قروة يجتمعون في بيت البوقري أو البهلوي وينظمون ما يعرف بالـ(قيلة) وهو عبارة عن دعوة على الغداء المكوّن من المندي أو المبشور، ويتولون الطبخ بأنفسهم. فيجتمع كل أهل الحارة على ذلك الطعام، وهم يسمحون لنا بالجلوس. والقيلات هذه كانت مهمة للغاية بالنسبة للأهالي، هناك يروّحون فيها من أنفسهم، كما أنهم يفعلون

ذلك أيضاً بزياراتهم للبساتين في المثناة وجبرة. كما نقضي مشاويرنا مشياً على الأقدام حتى تيسر لنا بعد ذلك وصارت لنا سيارة.

* **تخرجت في مدرسة تحضير البعثات في شعبتها العلمية وكذلك الحال معك في الجامعة .. لكن هذا لم يطفئ فيك جذوة الأديب المتقدة في تكوينك المعرفي والحياتي الشخصي. ألا يبدو لك الأمر كما لو كان ازدواجاً؟**

- لا، لا أعتقد. لقد تخرجت في القسم العلمي، ولم تكن هذه رغبتي لكنها ليست مشكلة. كانت هذه رغبة والدي الذي أقنعني بأن الإنسان يمكن أن يكون أديباً لامعاً حتى عندما لا يدرس الأدب كتخصص. وأمثلة كثيرة على هذا التفسير .. فعلي محمود طه كان مهندساً .. وإبراهيم ناجي كان طبيباً .. وأبو شادي كان أستاذ حشرات. هكذا وجدت أن منطق والدي مقنع .. قال لي إذا درست كلية علمية فبإمكانك أن تغدو أديباً، لكنك لا تستطيع أن تكون عالماً أو طبيباً إذا التحقت بكلية أدبية. وعلى هذا الأساس سافرت الى مصر سنة ١٩٥٢ مع قيام الثورة للدراسة.

تحضير البعثات والتيارات

* **أتوقف معك هنا طالما جرنا الحديث لمصر ومدرسة تحضير البعثات. الملاحظ في المجموعات التي نهلت من تلكم المدرسة، وشققت دروب الدراسة خارجاً، أن معظمهم انسلك في تيارات ومحاضن تراوحت بين الحركة الليبرالية وبين التيار القومي أو التيار الإخواني الإسلامي أو حتى التيار اليساري. إلى أي درجة يبدو ما ذكرت صحيحاً من وجهة نظرك ؟**

- نعم، هذا ما كان فعلاً، فقد تأثر البعض بالإخوان المسلمين، وهم مجموعة كبيرة، وهناك من تلاقوا مع الفكر الناصري، وكما أن هناك من تأثروا بالفكر اليساري..

❀ **مثل مَنْ مِنْ مجايليك في تلك الفترة . أطمع هنا بأسماء ؟**

- ربما من الحكمة ألا أصرح بأسمائهم خشية إحراجهم فأنت تعلم أن هذه الأشياء ما تزال من المسكوت عنها .

مدرسة روز اليوسف

❀ **إذن لأحصر الأمر في تجربة عابد خزندار نفسه، ما هي الحركة الفكرية التي راوغتك فالتجأت إليها في تلك الفترة؟**

- كانت مدرسة روز اليوسف الأقرب إلى فكري.

❀ **بحكم معرفتي بالمجلة أنها ومدرستها مغرقة في اليسارية.**

- نعم هي تعتبر تجمعاً يسارياً معتدلاً ولم تكن شيوعية على الإطلاق، هذا عدا أنها كانت تضم العديد من الكتاب اليمينيين مثل: صاحبة المجلة، وابنها إحسان عبد القدوس، وكذلك فتحي غانم، وصلاح عبد الصبور .

❀ **عفواً أستاذ عابد. ما أعلمه أن روز اليوسف تحارب الدين علناً منذ صدورها وحتى اليوم. وآخر بذاءاتها مقالة مفيد فوزي ضد الداعية عمرو خالد. أصارحك أنني فوجئت باعتبارك لها تجمعاً يسارياً معتدلاً.**

- لا أذكر أنها كانت تحارب الدين.

سلامة موسى وخزندار

❀ **لن أستطرد هنا وأنتقل إلى محور في ذات الموضوع. أثناء استقصائي في سيرتك، وأنا أعدّ للمكاشفة، قرأت لك مقالاً قلت فيه بأنك كنت قريباً من سلامة موسى ودائم الزيارة له.. وهذا ما جعل علامات الاستفهام تتقافز في ذهني. كيف لشاب سعودي ومن مكة. يرتاد منتدى سلامة موسى المعروف**

obeikandl.com

بمعاداته للتدين والثقافة الإسلامية بصفة عامة.. وسلامة موسى هو، بالذات، الذي قال مرة: (لا أمل لمصر في التقدم بالدين). ما الذي استدعاك لكي تتردد على ذلك المنتدى المريب وتلك الشخصية تحديداً؟

- أعتقد أن سلامة موسى هو واحد من أكثرية تأثرت بالغرب، وربما كان هو الأكثر تأثراً من بين الكتّاب. وموسى تأثر بالذات ببرنارد شو. لكنه لم يكن يعادي الإسلام، بل كان يدعو إلى التحرر عن العادات والتقاليد القديمة والانفتاح على الغرب.

❀ **كيف ذلك أستاذ عابد، والرجل يذكره التاريخ بأنه كان متطرفاً ضد الثقافة الإسلامية، ويوشك أن يدعو المصريين إلى التحلحل عن ارتباطهم الديني بحجة أنه يعيق التقدم. بل أبعد من ذلك نادى بترك الكتابة بالفصحى وتغيير ذلك بالعامية ؟**

- بالعكس لم يكن يحارب الثقافة الإسلامية، بل هو الذي أرشدني إلى ابن رشد. ثم دعني أقل لك شيئاً، وهو أنه لم يحاول قط أن يجادلني في معتقداتي الدينية أو يحاول أن يقنعني بالإلحاد خاصة بعد أن عرف أني إنسان مؤمن.

❀ **لكن بالرغم من هذا مضافاً إليه تنشئتك الدينية التي متحتها من مكة المكرمة، لم يمنعك كل ذلك من التردد على منتدى سلامة موسى الذي تقول لي إنه سببه انفتاح الرجل على الغرب. ثمة أسماء هنا أستاذ عابد تصطف إلى جانب سلامة موسى إبان تلك الفترة تملك مزية صاحبك. ألم يكن طه حسين منفتحاً أيضاً على سبيل المثال. العقاد.. ؟**

- طه حسين كان منفتحاً على الغرب. وكذلك الحال مع العقاد، وكنت أتمنى أن أحضر مجالسهما ولكني لم أحظ بذلك.

❀ **وتلقائياً، أستحضر في هذا الموقف غالي شكري أيضاً. وهل كانت ثمة علاقة لك معه أيضا ؟**

- لا .. لم تكن بيني وبينه علاقة.

❀ **اسمح بهذا السؤال أستاذ عابد: هل انتقلت بذلك الفكر (مدرسة روز اليوسف اليسارية المعتدلة) إلى السعودية ؟**

- أفكار مدرسة روز اليوسف كانت طوباوية، وهي لم تتحقق في مصر ناهيك عن تحققها في الحجاز.

تجربة الماركسية

❀ **أرى لزاماً التوقف معك هنا لأستشرف رأيك حول ذلك التيار الذي توهج ثم خبا " كحتمية تأريخية" .. الآن، وقد انتهى ذلك المد الماركسي منذ عقدين ونيف من الزمان.. هل تعتقد أن الماركسية ما تزال مجدية كمنهج .. أم أن النظرية سقطت هي الأخرى بسقوط الاتحاد السوفيتي؟**

- لقد أثبتّ هذا الكلام في أحد كتبي، وقلت إنّ الروس لم يطبقوا المذهب الماركسي .. ولينين لم يأخذ من ذلك المذهب إلا الأشياء التي تناسبه وتتفق مع سياسته. وكثير من الشيوعيين في مصر وغيرها لم يتوقفوا ملياً عند كتاب رأس المال لماركس.. هذا الكتاب يهتم بنقد النظام الرأسمالي. والرأسماليون أنفسهم استفادوا من ذلك النقد فأصلحوا في عيوب نظامهم الرأسمالي. والماركسية كما قسمها ماركس هي جزءان: الديالكتيك والحتمية التاريخية. وهذه الأخيرة أثبتت نجاعتها في عدة مناسبات لكنها لم تثبت صحتها إلى المدى الأخير. وبحق، فإن ماركس كان سبباً في نجاح النظام الرأسمالي عن طريق الإصلاحات التي انتبه لها هذا النظام انطلاقاً من نقد ماركس المنضبط.

❁ **ما أفهمه من كلامك أن الماركسية لم تطبّق بالطريقة التي وضعها وتمناها ماركس.**

- كل النظريات تستعصي على التطبيق و تجربة الاتحاد السوفيتي تثبت ذلك .

❁ **إذن، تعتقد أستاذ عابد خزندار، أن النظرية يمكن أن تصادف الفلاح إذا ما جدّدت أو نقّحت أو طبّقت بشكل صحيح؟**

- هذا أمر أراه منتهياً الآن؛ فنحن في عصر ما بات يعرف بما بعد النظريات والإيديولوجيات، قد تستهويك النظرية إذ تقرأها فتجدها منظمة وممتلئة، لكن الأمر يختلف عند وضعها للتطبيق على أرض الواقع. النتائج كانت بائسة في كل الأحوال. وهذا بسبب الثغرات التي تتسلل إلى عمق النص وتفشل جدواه. وهذا الأمر ليس منحصراً في الماركسية كمذهب أو إيديولوجيا، إنك تجده أيضاً في مفهوم وتطبيق الديمقراطية، فمثلاً تجد دولة كأمريكا ترتكز إلى نظام ديمقراطي براق.. لكنه في أرض الواقع يتحول إلى نظام فاشي؛ ولهذا تجد هذا العصر موسوماً باستبعاده للنظريات والإيديولوجيات؛ لأن الأنظمة باتت تتجاوز المفاهيم عندما تنزلها إلى أرض الواقع.

❁ **ومن في رأيك التيار الفكري الذي سيسود أفق العالم في راهن الآن. هل هو المذهب الليبرالي الذي تدعمه جحافل الغرب فضلاً عن عوامله ومقوماته في داخل نظريته، والذي يحمل معه الاستمرار والتطور كما بشّر فوكوياما ؟**

- أسباب موت النظرية الماركسية هو الجمود الذي وسم الفكر الماركسي بعامة. وأعتقد أن الفكر الليبرالي متحرك، الآن على الأقل. لكن المستقبل شيء آخر. وميزة الفكر الليبرالي التفاتته على الآخر وخاصة موقفه من مسألة الدين وفي اعتقادي أن الفشل الذريع الذي تكبدته الأفكار الشيوعية كان بسبب موقفها من الدين.

❀ **اعذرني في مخالفتك هنا. حتى الفكر الليبرالي لم يكن موقفه مشرفاً مع قضية الدين، فهم يحاربونه بطرق ربما غير مرئية أو غير مباشرة على الرغم من كل المفاهيم التي تدبج وتدور حول فكرة الحرية الشخصية، ويمكنني أن أسوق لك أمثلة محاربة الحجاب في أوروبا وأمريكا وتركيا كنموذج. هل تعتقد أن تصادماً ما سيقع بسبب هذا وينعكس على مجتمعاتنا بالضرورة ؟**

- اليمين المتطرف في أوروبا هو الذي يحارب الحجاب، أما الحكومة الفرنسية فقد منعت الحجاب في المدارس لأسباب أمنية لكيلا يتحرش غير المسلمين بهن. سيصبح تصادم بين الحضارات كما قال هينتنجتون، وفي هذا التصادم المتوقع لن نكون نحن المعتدين بل هم.

❀ **وفي تقديرك هل نحتاج إلى إسلام ليبرالي شبيه بهذا الذي تطرحه تركيا ممثلة في حزب العدالة مثلاً، يكون أنموذجاً للتفاهم والتعايش مع الغرب . أو حتى يفرض علينا فرضاً؟**

- الإسلام هو الإسلام، ولا يمكن أن نصفه بكلمات غربية مثل: الليبرالية والاشتراكية. على أنه في كل الأحوال تبقى تيارات متشددة وتيارات معتدلة في الإسلام وعلى مدى تأريخنا الإسلامي وحتى وقتنا الحاضر. وكذلك ثمة مشائخ معتدلون ومشائخ متطرفون.

❀ **هل أطمع هنا في بعض أسماء لهؤلاء المشائخ في تصور عابد خزندار؟**

- سأذكر لك المعتدلين في رأيي، كالشيخ علي الطنطاوي، وخالد محمد خالد، واللذين يعتبرهما البعض - كما زعمت - مشائخ ليبراليين وأنا رفضت هذه التسمية.وهنا في مشهدنا المحلي فضيلة الشيخ صالح بن حميد أعتبره أيضاً من هؤلاء المشائخ المعتدلين، وهو صاحب كتاب (رفع الحرج في الشريعة).

سؤالات جيل الرواد

❁ **جيل حمزة شحاتة والعواد وأحمد سباعي، اصطلح على تسميته بجيل الرواد. بداية : هل نستطيع تصنيف عابد خزندار ضمن هذه الكوكبة؟**

- لا .. هؤلاء كانوا قبلي..

❁ **وهل تعتقد أنهم مثلوا حركة ريادية ذات مدلولات، أم كانوا مجرد قراء نجباء للحركة الثقافية ثم قاموا بإعادة إنتاجها؟ بمعنى صريح أنهم لم يكونوا سوى صدى للموجود أصلاً من الحركة الأدبية المصرية (مرة أخرى مصر) ؟**

- في الحقيقة تأثر هؤلاء بمصر فصاروا صدى لها في أرض الحجاز، لكنهم أثّروا بدورهم في البيئة الأدبية والاجتماعية، وخاصة عن طريق جمعية الإسعاف التي كانت غنية بالحوارات والمحاضرات، وعن طرق كتاباتهم أيضاً ثم وعن طريق الاحتكاك. لقد شكّلوا حركة ريادية، لكنهم استقوا الريادة من بعيد حيث تأثروا كثيراً بالأجواء المصرية.

❁ **اسمح لي أستاذ عابد في تحرير مصطلح ريادة ومدلولها، المعروف أن أي حركة ريادية تكون ممتدة في نتاج الأجيال اللاحقة، ومن ثمّ يكون لها انتشارها وتمددها الخارجي، وهذا ما لا نكاد نلاحظه في هذه الحركة التي أسبغت عليها الريادة والتي لا يتردد صداها إلا داخل الحجاز تومض بأحايين متباعدة عبر كتاباتكم لها ولا يذكرها أحد خارج السعودية. بل حتى هذه الكتابات تتطرق لها ليس كمدرسة لها أتباع بل كـ(تذكار) يعود إليه النقاد كلما اضطرهم الحديث إلى كتابة تاريخ الأدب للمملكة.. كيف تعلق على ذلك؟**

- هذا لأننا كنا وما نزال منعزلين عن العالم وما يحيط بنا من بشر وأفكار. قل لي مثلاً مَن مِنّ الأدباء السعوديين معروف في مصر؟

obeikandl.com

❀ **أعترف بكل الأسى والأسف: قلة . ولكن يمكن أن أطرح اسمي الغذامي وسعيد السريحي اتكاء لمشاركتهما الكثيرة الخارجية.**

- ربما يعود سبب معرفتهم - وهي ليست منتشرة على أي حال - إلى علاقات شخصية .. وللمناسبة سيخرج لي كتاب في مصر من إصدار المجلس الأعلى للثقافة عن (المصطلح السردي) وربما سأعرف بعده في مصر.. وهو كتاب مرشح لجائزة الملك فيصل - على أي حال - إلى علاقات شخصية..

❀ **لنفرض أن الانعزال هو حقيقة ما نزال نتجرع مرّ تأثيرها .. فإلام تعزو ذلك؟ هل لأن الإعلام لدينا لا يهتم بالمثقف السعودي .. أم أننا لا نحتكم في الأصل، على شيء ينافس المنتوج الثقافي للآخرين على امتداد رقع الجغرافيا العربية؟**

- لدينا الكثير لنقدمه للعالم؛ ففي تقديري أن رجاء عالم أفضل بكثير من أحلام مستغانمي وحنان الشيخ، ربما كان للإعلام ذلك الدور المُقْعِد. فنحن لا نتوفر على مطبوعة توزع على نطاق واسع، وحتى إن المصريين منغلقون في محليتهم كذلك .. عندما تجلس إلى أكبر، مثقف مصري هو أنيس منصور وتسأله عن عبدالله العروي فإنه يصدمك بأنه لا يعرفه. المصريون لا يتطرقون إلى إبداع الآخرين إلا قليلاً. ولعل المحاولة الوحيدة التي كانت في هذا الصدد هي تلك التي جمعت المفكرين المصري حسن حنفي والمغربي عابد الجابري في ذلك السجال الفكري الرصين.

❀ **ما الذكريات التي جلبتها معك من مصر التي درست فيها الزراعة كما نعلم؟**

- من ذلك أنني كنت أحضر مجالس الأستاذ عبدالله عبدالجبار التي كان يؤمها عدد كبير من الآباء والمثقفين منهم حمزة شحاتة وعبدالله القصيمي وفوزي العنتيل والفيتوري وكنت أجلس مع عبدالله عبدالجبار وحمزة شحاتة في مقهى اسمه (سان سو سيه) في الجيزة وهذه علاقات استفدت منها كثيراً.

obeikandl.com